# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه لذكره ، وجمعهم من قبائل شتى وأجناس متباينة الأخلاق والأطوار ، فألف بينهم بما شغلهم به من المحافظة على الأوراد والأذكار ، في آناء الليل وأطراف النهار ، وصلى الله على النور الأول الذي منه انفلقت الأنوار ، والسر الأكمل الذي منه انشقت الأسرار ، سيدنا و مولانا محمد ابن عبد الله ، صاحب الحوض المورود ، واللواء المعقود ، اللبنة التمام ، ومن له الفتح والختام ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ، وبعد السادة الضيوف كل بمقامه ومنزلته السامية ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مداخلتي في هذه الندوة المباركة هي بعنوان : الشيخ محمد فاضل ودوره في تحقيق الأمن الروحي فنقول وبالله التوفيق هو الشيخ محمد فاضل بن محمد بن يوسف بن ابيه بن احميدوش بن لحسن بن امحمد بن موسى بن علي بن الولي الصالح الشريف الزاهد سيدي احمد الرقيبي نفعنا الله ببركته، ووالدته هي اخديجة بنت عبد الله بن بارة. ازداد الشيخ سنة 1909 ميلادية بمنطقة الساقية الحمراء، واهتم بالتصوف السني وهو في ريعان شبابه وفي سن 18 التقى بالشيخ سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمان الدرقاوي، الذي لقنه الورد وكان الأول قد اخذ الطريقة عن شيخه سيدي محمد بن مسعود الذي أخذها عن شيخه العارف الحاج علي بن احمد الشريف الذي أخذها هو الأخر عن الشيخ سعيد إلى أن وصلت إلى الشريف المولى العربي الدرقاوي، وتداولت شيخا عن شيخ إلى سيدي عبد السلام بن مشيش.

بعد ذلك أصبح مقدما في الطريقة الدرقاوية وواصل مسيرته الموفقة ينشر الطريقة ويبذل قصارى جهده في تمكينها وتدعيمها وإعلاء شأنها حتى سنة 1358 هجرية في شهر ذي القعدة حيث أمره شيخه أن ينوب عنه في مشيخة الطريقة بعد ما أصبح عاجزا عن إكمال رسالته في المشيخة. قائلا له كن جديدا

مجتهدا وأنا عييت فحق الطريقة صار عليك. ويقول هذا الكلام فكأنما وضع عليا جبلا عظيما.

أما في الأسرار الربانية فحدث عن البحر ولا حرج ولكن الشرع لا يسمح لنا بذكرها وكما قال الصالحون : **الحقيقة عورة وهي مستورة في الشريعة فالشريعة هي الجسم والحقيقة هي الروح** وكل ما استطيع قوله شهادة أمام اللّه وأمامكم إن الشيخ سيدي محمد فاضل أبيا رحمه اللّه كان من أولياء اللّه الصالحين، هذا مما سمعنا عنه وتحققنا منه في حياته وعند وفاته وبعدها.ومما يروى عن الشيخ أبيا رحمه اللّه أنه التقى بمولاي عبد السلام بن مشيش في المنام حيث جعله من ورثته الأوائل رحمهم اللّه جميعا.

ومازال رحمه اللّه يواصل دعوته وينشر الطريقة الشاذلية الدرقاوية في كافة أنحاء المعمورة ولا يخاف في اللّه لومة لائم ضد الذين لا يريدون العلو والسمو لهذه الطريقة. وللّه ذر القائل :

باللّه ذكر ياأخي الحذاق   بأكابر قاموا بجد الساق
تركوا العلية والدنية مطلقا   متقربين لحضرة الإطلاق
باللّه ذكرني بهم وبحديثهم   فحديثهم عندي من الترياق
قوم اذا ما جئتهم مستمطرا   أمطرت من غيث لهم دفاق
قوم لهم نسمات عز   لو بدت يوما على ميت لقام بساق
قوم اذا جن الدجى ناحوا   بكى خوفا الونا لا خشية الإملاق

وإضافة إلى وظيفته الروحية كان الشيخ سيدي محمد فاضل أبيا رحمة اللّه عليه مجاهدا ومقاوما ضد المستعمر الفرنسي والاسباني في الجنوب المغربي، وتعرض للسجن عدة مرات، وحتى في غياهب سجون المستعمر الأجنبي لم تتوقف كراماته ولعل الحادثة الشهيرة التي حصلت له في سجن لكويرة أكبر دليل على ولايته وصلاحه.

وبعد ذلك اعتكف الشيخ محمد فاضل أبيا وخصص الكثير من وقته للتصوف الذي قال فيه بعض واصفيه :

**ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاك ان غنى المغنونا**
**ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا اطراب كأن قد صرت مجنونا**
**بل التصوف أن تصفى بلا كدر وتتبع الحق والقرآن والدينا**
**وأن ترى خاشعا لله مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزونا**

حيث ألف كتابه المعروف "كيفية السلوك إلى مالك الملوك" والذي يضم 481 صفحة، وألف مذكرات في الإرشاد والوعظ والكثير من المؤلفات التي وللأسف لم تطبع والمجهودات متواصلة بشكل مستمر لمحاولة جمع ما في صدور المريدين. وقد نظم قصيدة السلسلة الطويلة بعد لقاءه بالعالم الشيخ محمد المختار السوسي سنة 1956 ميلادية، حيث طلب منه الشيخ أن ينظم له شيئا يدافع عن الصوفية، بعد ذلك ألف سيدي محمد مختار السوسي كتابه المشهور "المعسول"، وأرسل له جزءا إلى الصحراء. ويقول في اول قصيدة السلسلة:

**نفرح بكتابنا المعسول وسيلة لنا إلى الرسول**
**اذ حينما دعي لاستقلال في جانب الصحرا على الشمال**
**جمع الطرق كلها في الحيرة الا الذي فني في الحقيقة**

وكان الشيخ رحمه الله يسعى إلى نشر الطريقة الدرقاوية الشاذلية المشيشية، ولقن الورد الدرقاوي لآلاف المريدين من المملكة المغربية الشريفة إلى تخوم دولة السودان الشقيقة، وقد خلف الشيخ سيدي محمد فاضل أبيا خليفة له وهو سيدي علي سالم ولد سيد الزين حفظه الله ورعاه ، وخليفته شيخ فقهاء الزاوية الشيخ محمد سعيد دادة أمد الله في عمره.

إن الحديث عن الزاوية وعن الأدوار التي تمارسها في المجتمع المغربي، ونخص بالذكر المجتمع الصحراوي، بالتحديد حديث طويل ، ومتشعب ، ويحتاج إلي كفاية نظـرية و معرفية تستند إلى مسح اجتماعي، ندرك من خلاله أفضال الزاوية ، وكل أفعال المنخرطين والموجودين من داخل ما يمكن أن نسميه الممارسة النظرية المنبثقة من الزوايا.

وبعيدا عن هذا الحديث العام نقول إن الزاوية تشكيلة، أو تركيبة اجتماعية نجدها أصلا في ماهو ذهني روحي شريف، وان لها بهذا الاعتبار دور متين في تحقيق وحفظ وضمان الممارسة الدينية ذات الأبعاد الروحية الخالصة . إن لها دورا في تفقيه النفوس والسمو بها لترتبط بالخالق.

و من خلال هذه الوظيفة الروحية، عملت الدولة على الاعتناء بالزوايا لما لها من دور في حفظ الاستقرار الاجتماعي وأمن المجتمع وتماسكه الروحي.

وإذ نثمن مبادرة الدولة في الاعتناء بالزوايا وصرف النظر إليها ،ونحرص على التأكيد أن المقاربات الفكرية التي تغض من دور الزاوية ، وتطعن في وظيفتها هي للأسف مقاربات لم تستطع أن تفهم اللحمة الاجتماعية التي تبثها الزاوية، وأن تفهم أدوار الموروث والتحام الإنسان به .

فالمضمون الروحي والذي تؤديه الزاوية يعتبر عنصر أساسيا و أداة رئيسة من أدوات التحلية والتحلي بالأخلاق الفاضلة ، ومنارة لأنها تنطلق من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالزاوية يوجد ورآها الأولياء والأخيار والصلحاء وكل ماهو حسن .

وفي هذا السياق نتحدث عن المرحوم المشمول برحمة اللّه سيدي محمد فاضل بن يوسف بن محمد الملقب "ابيا" ، كغيره من أولياء المجتمع الصحراوي هذا المجتمع الأصيل مجتمع الفطرة ، مجتمع يملك رموز دينية ، وأخلاقية من الصعب أن ينفك

عــــــنها أو يبتعد ، فكل تغيب لهذه الرموز هو سقوط بهذا المجتمع في مهاوي الرذيلة والفساد والخطيئة.

فالزاوية تعني التصوف وتعني الخير الممتد من الماضي البعيد، وتعني أيضا العراقة والامتداد الروحي والنفسي.

فمحمد فاضل آبيا رجل تصوف ، عبِق بالدلالة الدينية الروحية التي تحتاجها أجيالنا اليوم ، الأجيال التي صرفها اللهو و العولمة .

إن إنسان اليوم إن افتقر إلى المضمون الروحي فما أحوجه أن يعيد الاعتبار لزوايا و إلى أن يفتش عن الكنز الروحي، وعن المبادئ والكرامات والبركات التي ترفرف في سماء الزاوية، وفي أفنيتها .

هذه خطرات عن الزاوية وعن كل الخير الذي تحمله رموزنا ويحتضنه موروثنا وهي كلمة نقولها مشيرين من خلالها إلى العلاقة الوطيدة التي تجمعنا بهذا المكون ،والتي لا تسمح بتغييه أو رفضه لأنه ببساطة من عناصر الاستقرار والاستمرار ، ولأنه راسخ كهوية وكتكوين وأيضا كتطور في عالمنا الوجداني ،وكمؤسسة في عالمنا الاجتماعي ،فالزاوية والشيخ محمد فاضل أبيا مشاعر وعلاقات ورموز ودلالات غنية الأثر في وجداننا وشعورنا المجتمعي والروحي و النفسي.

أشكركم على حسن إصغائكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الامضاء: صالح الدفلي، يوم الاثنين 17 نونبر 2014 الموافيق ل 23 محرم 1436 هجرية .